

Fluorescence of Arabic and Islamic Studies in Nigeria

FESTSCHRIFT IN HONOUR OF PROFESSOR WAHAB O.A. NASIRU



Editor
Zakariyau I. Oseni

النقد الأدبي ومناهجه في عصر صدر الإسلام

إعداد

خليل الله محمد عثمان يودوفو

المقدمة

يمكن القول إن العرب - القدماء والحديثين - اهتموا بفن النقد الأدبي اهتماما لا يستهان به، خصوصا منذ القرن الأول الهجري، حيث وجدت عوامل عديدة نهضت بالأدب والنقد، وفي الحقيقة إن النقد يتأثر بالبيئة وبما سبقه من العصور الماضية، فإذا قوي الأدب تبعه النقد وإذا صار ضعيفا يكون النقد ضعيفا. وعلى هذا النمط سار النقد الأدبي في عصر صدر الإسلام حيث تأثر بيئة النبوة والخلافة الإسلامية الخالصة وفاض بالنشاط الجديد وبالحرركة المجمودة ولذلك يسلط هذا البحث المتواضع ضوءا على المباحث التالية:

- 1- معنى كلمة النقد
- 2- الاستعمال الفني لكلمة النقد
- 3- النقد الأدبي قبل الإسلام
- 4- النقد الأدبي في عصر صدر الإسلام
- 5- الخاتمة

الأول: معنى كلمة النقد

للقند معنيان: أحدهما لغوي والآخر اصطلاحى أما المعنى اللغوى فهو: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها، تقول: نقدها وتنقدها: إذا ميز جيدها من رديئها؟⁽¹⁾ ولهذا يقول سيبويه:-

تنفي يداها الحصى فى كل هاجرة*** نفي الدراهم تنقاد الصياريف

وهذا المعنى، هو الأصل الذي جري عليه الاستعمال الأدبي في قولهم: نقد الكلام أي ناقشه، وانتقد الشعر على قائله بمعنى أظهر عيبه، وانتقد الكلام، أي أظهر عيوبه ومحاسنه، لأن نقد الأدب منذ كان - كنقد الدراهم - فهو تمييز الجيد والرديء، يعتمد على الخبرة والممارسة ودقة الفحص والنظر⁽²⁾.

أما المعنى الاصطلاحي، فهو: دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها، أو المقابلة ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها⁽³⁾.

الثاني: تاريخ الاستعمال الفني لكلمة النقد عند العرب

من الصعوبة بمكان أن نعرف الوقت الذي بدأ الناس استعمال كلمة النقد استعمالاً أدبياً إذ سكت التاريخ عن ذلك ولم تشر المراجع التي بأيدينا إلى أول ناقد عربي سوي أن الذي يرتاح إليه القلب هو أن استعمالهم للكلمة استعمال قديم لأن من تصفح تراث القدماء يرى أنهم استعملوها مباشرة أو غير مباشرة في بعض المواطن، ولهذا نقف قليلاً عند الأطوار التي مرت عليها هذه الكلمة قبل نضوج استعمالها الأدبي. والأطوار هي على النحو التالي:

الطور الأول: لقد ذهب علماء القرن الأول الهجري إلى أن فن النقد عبارة عن العلم بالشعر، وأوضح برهان على ذلك، أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال:

"كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه". - عؤءؤ⁽⁴⁾ وكذلك نجد ابن أبي فدوة يقول لنصيب لما قدم مصر لمدح عبد العزيز بن مروان: "إياك أن تنتحل فإن الأمير راوية عالم بالشعر"⁽⁵⁾.

ومن هنا نفهم أن العلماء في القرن الأول الهجري، كانوا يستعملون العلم بالشعر مكان النقد الأدبي، في وصفهم للتمييز بين جيد الشعر ورديئه، وصحيحه ومنتحله.

الطور الثاني: بدأ هذا الطور بما صنعه المفضل الضبي أحد أعلام اللغة والشعر في القرن الثاني الهجري، فقد نظر إلى عملية التمييز بين الجيد والردئ، وأسماها النقد، وذلك في قوله عن حماد الراوية:

"قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما افسده، فلا يصلح أبدا، فقليل له: وكيف ذلك؟ أيخطئ في روايته أم يلحن؟ قال ليته كان كذلك فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها، ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه مذهب رجل ويدخله في شعره، ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتخلط أشعار القدماء ولا يميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد وأين ذلك؟" (6)

وبهذا القول، ذهبت طائفة من العلماء إلى أن المفضل الضبي هو أول من استعمل لفظ النقد، أو أقدم من استعمله بمعناه الأدبي، ثم تبعه في ذلك عدد كثير من علماء القرن الثاني الهجري منهم مطيع بن إياس المتوفى سنة 129 هـ الذي هجا حماد عجرد بقوله:

أيها الشاعر الذي ** عاب يحي ومنقذا

أنت لو كنت شاعرا ** لم تقل فيهما كذا

لست والله فاعلمن ** لذوي النقد جهبذا (8)

ومنهم أبو عبيدة المتوفى سنة 210 الذي قال عن الأخفش الأكبر ما يأتي:-

"سمعت أبا الخطاب الأخفش يقول: وكان أعلم الناس بالشعر وأنقدهم له وأحسن

الرواة دينا وثقة." (8)

ومنهم الجاحظ الذي نظر إلى هذا الفن أكثر من الحدود التي نظر إليها أهل القرن

الأول وصور ذلك فيما يأتي:

"طلبت علم الشعر عند الأصمعي، فألفيته لا يعرف إلا غريبه، فرجعت إلى

لأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، وطفقت على أبي عبيدة فرأيت لا ينقد إلا فيما اتصل

بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات⁽⁹⁾

الطور الثالث: في هذا الطور، أخذت معالم هذا الفن تبرز بصورتها المستقلة للتأليف والتصنيف، والفضل في ذلك يعود إلى قدامة بن جعفر المتوفى سنة 337 هجرية، الذي وضع كتابه بعنوان "نقد الشعر" وبهذا الكتاب في القرن الثالث استعمل العلماء كلمة النقد في قضاياهم الشعرية. ولا يصح أنهم استعملوه مضافاً إلى النشر، لأن كتاب "نقد النشر" الذي نسب إلى قدامة بن جعفر لم يكن هو أبا عذرتة، بل بعد دقة التحقيق فهو عبارة عن كتاب "البرهان ووجوه البيان" لإسحاق بن إبراهيم بن سليمان⁽¹⁰⁾

الطور الرابع: بدأ العلماء في هذا الطور بإجراء عملية النقد على الشعر العربي على نحو لا يختلف كثيراً عن إجرائها في العصر الحديث وذلك بفضل إسهام بعض إعلام اللغة والأدب في القرنين الرابع والخامس الهجريين وعلى رأسهم علمان كبيران هما أبو الحسن الآمدي المتوفى سنة 527 في كتابه "موازنة بين أبي تمام والبحري" وأبو الحسن الجرجاني المتوفى سنة 392 هجرية في كتابه "الوساطة بين المتني وخصومة" ثم تبعهما عدد كبير من نخبة النقاد والأدباء في القرن الخامس منهم: المرزواني المتوفى 418هـ. وابن شهيد الأندلسي المتوفى 426هـ. وأبو لعلاء المعري المتوفى 480هـ ونحوهم.

الطور الخامس: هذا الطور عبارة عن العصر الحديث، حيث تميز نقد الأدب عن فروع النقد الأخرى، كالنقد التاريخي والنقد الفني. وفي هذا الطور لم يكن النقد مجرد دراسة أو تقويم للنصوص الشعرية، بل أصبح دراسة شاملة لجوانب النصوص الأدبية من شعر، وقصة، ومسرحية ودراسة تكشف عن مظاهر النضج الفني، وتميزها عما عداها بالشرح والتحليل، مع النظر في تقييم هذا النضج إلى طبيعة القائل ومذهبه، والجنس

الأدبي الذي قال فيه، والأثر الذي أحدثه بقوله ومدي ما أضافه إلى أدب أمته بهذا القول من جهة، وإلى الأدب العلمي من جهة آخر⁽¹¹⁾

الثالث: النقد الأدبي قبل الإسلام

لا أجنب الصواب إذا قلت إن العربي الذي عاش في الصحراء القاسية، قد وجد من طبيعة هذه الصحراء ما يجعله إنسانا لا يقول الشعر إلا بلهجة قومه في المدح، والثناء، والفخر، والهجاء، ونحو ذلك. إذ الشعر عند هم بالذات، بدأ من ضرب السجع ثم انتقل إلى ما يسمى بالرجز ومن إزاء الرجز وجد سبيله الواسع إلى الحال الذي كان عليه اليوم وذلك تحت تأثير مواسم العرب وأسواقها خصوصا بعد أن تغلبت لهجة قريش على اللهجات الأخرى، وسادت شعراؤهم شعراء جميع قبائل العرب.

وفي الحقيقة سار الشعر العربي على أطوار كثيرة قبل هذا الشكل المكتمل وعاصرت هذه الأطوار أيدي النقاد الذين يحكمون في الغالب - على الشعر ببلاغته والنظرة العجلى والأثر السريع مما يحول بين النقد وبين أن يكون له أسس وقواعد ثابتة وأصول مقررة، وإلى أمثال هذا السلوك تشير لجنة تحقيق لكتاب طبقات الشعراء في قولها: -

النقد في الجاهلية كان موجودا، ولكنه نقد فطري، تأثري مقتضب بفكر صاحبه في اللحظة التي يعيشها ويتحدث بإحساسه الوقتي، دون عقله المستقر الذي يحلل ويجرد، كما كان يطلق الناقد أحكاما عامة، فإذا أنشد (مثلا) قيس بن الخطيم شعرا فهو أشعر الناس، لأنه لمس إحساس النابغة ومشاعره، ثم يكون حسان أشعر الناس لأنه لمس عاطفة استحسان من النابغة نفسه⁽¹²⁾

وهذا ليس بالإنكار أو التمرد على الفضائل التي يتميز بها النقاد الجاهليون إذ كانوا يتصفون في نقدهم بالاستيعاب والإحساس المرفه، والإصابة في كثير من الأحكام خصوصا عند ما يعرض الشعراء قصائدهم في سوق عكاظ أو ذي المجاز على زعمائهم من أمثال النابغة الذبياني للتمييز بين الجيد والردئ. وقد يدل على روح النقد في عصر قبل الإسلام أن بعض الشعراء الجاهليين يمكث زمنا طويلا يردد في قصيدته ويقلب فيها رأيه للنقد والتعديل ولذلك أطلقوا على بعض قصائدهم إسم الحوليات، والمنقحات والمحكمات ولذلك قال الخطيئة: "خير الشعر الحولي الخك" وقال الأعشى: "إن زهير بن أبي سلمى والخطيئة وأشباههما عبيد الشعر"⁽¹³⁾ ولو تتبعنا الأحكام النقدية التي جاءت في عصر قبل الإسلام لوجدنا أنها تتنوع غالبا إلى ثلاثة أقسام.

القسم الأول: نقد المعاني الجزئية: كنقد طريقة للمسيب في قوله. وقد أتناسى الهم عند احتضاره ** بناج عليه الصيعرية مكدم ولما سمع طرفة بن العبد هذا البيت وهو صبي يومئذ علم أن الصيعرية للنوق، لا للفحول فقال: في نقد المسيب - (استنوق الجمل)⁽¹⁴⁾ وضحك منه، فصار مثلا سائرا. القسم الثاني: المفاضلة بين شعراء هذا النوع كانت تتأثر بالموقف الذي يوجد فيه الناقد والظروف التي كانت تحيط بقول الشعر ومن أمثال ذلك أنه يضرب للنابغة الذبياني قبة حمراء في سوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها. فكان أول من أنشده هو الأعشى ثم حسان بن ثابت ثم أنشدته الشعراء. ثم أنشدته الخنساء بنت عمرو ابن الشريد في قولها: وإن صخرًا لتأتم الهداة به ** كأنه علم في رأسه نار

فقال: والله لولا أن أبا بصير أنشدني آثفا لقلت إنك أشعر الجن والإنس. فقام حسان فقال: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك: فقال له النابغة: يا ابن أخي، أنت لا تحسن أن تقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي ** وإن خلت أن المتأني عند واسع⁽¹⁰⁾

ومن هنا نفهم أن النابغة يفضل الأعشى على حسان بن ثابت وحسان على الخنساء والخنساء على غيرها في عصر قبل الإسلام

القسم الثالث: العناية بالقافية، وهي من أوجه النقد الجاهلي المهمة، فقد روي أن النابغة يقوي في قصائده، والإقواء عيب في القافية، إذ أتى بالإقواء في بيتين له حيث قال:

أمن آل مية رائح أو مغتد ** عجلان ذا زاد وغير مزود

زعم اليوارح أن رحلتنا غدا ** وبذاك خرنا الرب الأسود⁽¹⁶⁾

فلما دخل النابغة يشرب عابوه في هذين البيتين وأشاروا إلى الكسرة التي في "غير مزود" والضممة التي في "الغراب الأسود" ففطن لموضع الخطأ فلم يعد إليه.

الرابع: النقد الأدبي في عصر صدر الإسلام

نستطيع أن نقول إن عصر صدر الإسلام، عبارة عن المدة من انتشار الإسلام في الجزيرة العربية وتأثر العرب بتعاليمه إلى نهاية عصر الخلفاء الراشدين. وليس بدء العصر ظهور الإسلام في مكة، لأن الدعوة الإسلامية ظلت حيناً سرية ثم صدى بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وظل حيناً في مكة يلاقي العنت والإيذاء وهاجر إلى المدينة ومنذ ذلك لقيت الدعوة أعواناً أقوياء. ومن ثم أخذت الدعوة سبيلها إلى إنشاء المجتمع الإسلامي الذي تطلعت إليه بعد نفوس العرب، ثم دخلوا في دين الله أفواجا وآمنوا بما

دعا إليه الإسلام من خلق حياة روحية صافية بعيدة عن الحياة المادية التي عاشها العرب في جاهليتهم⁽¹⁷⁾

وبعد هجرة الرسول من مكة إلى المدينة عام 266م اهتم المسلمون والعرب بالأدب والمعرفة، وأصبح للإسلام أثر كبير في كل مظهر من مظاهر حياة المسلمين، كما كان له كذلك تأثير ملموس وحيث يكون الأدب يكون النقد، ولهذا نرى أن ننظر إلى الدوافع التي نفخت روحاً جديدة في النقد العربي في عصر صدر الإسلام، وهذه الدوافع تتكون في ثلاثة أشياء:

1- بلاغة القرآن الكريم

2- معركة اللسان بين المسلمين والكفار

3- اهتمام المسلمين بالشعر

بلاغة القرآن الكريم

إن القرآن الكريم تحدي العرب - وما زال يتحدى العالم كله - ببلاغة نظمه وفصاحة بيانه وما كان إسلام الكثيرين منهم إلا عن غزوه لحسهم واستشاره بإعجابهم كما هو ثابت في إسلام عمر بن الخطاب والطفيل بن عمرو الدوي وغيرهما. أو هل كانت شدة إيمان ذوي الفصاحة من قريش وغيرهم كما يبدو لم تصفح تاريخهم إلا لمزيد تأثرهم بأدبه واستجلائهم لفنه. فإذا قلت فما بال الذين لم يسلموا من ذوق الفصاحة والبلاغة؟ قلت: حتى هؤلاء الذين صدهم عنادهم وتكبرهم، لم يفلتوا من سحر البيان ولم يستطيعوا صد أذواقهم عن جلال القرآن بدليل أن منهم من سجد عند سماعه، فلما سئل: قال: سجدت لبلاغته. وآخرين اخذتهم العزة من قومهم فجعلوا يتسللون تحت جناح الظلام ثلاث ليال متتالية إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم. مجرد الاستماع

لاستماع. وهذا الوليد بن المغيرة لم يكذب يسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً
من سورة فصلت حتى راح يردد علي قومه:

والله لقد سمعت من محمد أنفاً كلاماً، ما هو من كلام الأنس ولا من كلام الجن، وإن له
طلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلى". (18)
هذا النص - كما نرى - يقرر اعتراف المشركين بأن القرآن الكريم أبلغ من كلام
عرب وإن كان من جنسه، كما يقرر بأن كلام الوليد بن المغيرة هو أول حكم نقدي
صادق من البشر المخلوق في التمييز بين كلام الله سبحانه وتعالى وكلام البشر.
حركة اللسان

بعد أن عجز العرب كلهم عن التحديات للقرآن الكريم فسرعان ما لجئوا إلى
تهاجي، إذ قامت طائفة من شعرائهم تحت رئاسة عبد الله بن الزبيري، وأبي عزة
لمحي وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعمرو بن العاصي يهجون النبي
أصحابه ويحرضون عليهم، الأمر الذي جعل الصحابة أن يستأذنوا النبي للإمام علي بن
طالب أن يرد المشركين فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً:
"ليس هناك - أي ليس علي بن أبي طالب من فرسان هذا الميدان - إنما اتجه إلى
أنصار وقال: ما يمنع القوم الذين نصرُوا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟
قال حسان بن ثابت أنهاها فقال: كيف تهجوهم وأنا منهم؟ قال: أسلك منهم كما تسلك
شعرة من العجين، قال: اذهب إلى أبي بكر فليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم
أهجمهم وجبريل معك" (19)

ومنها، أن وفد تميم أتى إلى المدينة المنورة للإسلام، ولكنه فاخر المسلمين شاعرهم،
حطيمهم، وانتدب النبي لإجابتهم ثابتاً بن قيس وحساناً بن ثابت فأجابا إجابة مقنعة،

حتى أفحموا وأنطق خطيبهم الأقرع بن حابس بالحكم قائلا: - "والله" لشاعرهم أشعر من شاعرنا وخطيبهم أخطب من خطيبنا ولأصواتهم أرفع من أصواتنا. (20)

ولعل هذه التهاجي وأمثالها هي التي أوجدت النقائص للشعر العربي، وأنقضت فن المعركة اللسانية خصوصا بين أهل مكة وأهل المدينة المنورة حتى أخذ كل يدعو إلى النقد، وإلى الحكم والإقرار والإذعان، لأن العرب ما زالوا يقدرّون فن التهاجي ويؤمنون بما فيه من قوة ويفصحون عما فيه من لدع وإيلام.

اهتمام المسلمين بالشعر بلغ الشعر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قيمته الاجتماعية والسياسية والدعوية، إذ لم يحرم النبي الشعر، ولم يحدد له الأغراض بل ترك للشاعر حريته المطلقة، وإن كان قد عاقب على الأذى وأثاب على المديح. فإنه أمر بقتل طائفة من الشعراء، منهم كعب بن أشraf لأنه بكى قتلى بدر وشب بنساء رسول الله ونساء المسلمين (21). وحين انشدته قتيلة بنت النضر قصيدة تعاتبه فيها على قتل أختها قال الرسول ما معناه: "لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته" وحين نقضت قريش حلفها مع خزاعة وهاجها وقال الشاعر خزاعة قصيدته المشهورة "يا رب إني ناشد محمدا" دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج بمن معه لنصرهم.

وكان الرسول يدرك خلود عاطفة الشعر في النفس الإنسانية فقال "لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين" (22) ولهذا أخذت الحكمة في الشعر يعجبه ويميل إليها ويشجيه الرثاء، فقد كان يستمع للخنساء ويؤكد رغبته على سماع الكثير من شعر بعض المعاصرين له أمثال حسان بن ثابت الذي جاب أبا سفيان بن الحارث فقال:

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: -

"جزأوك عند الله الجنة يا حسان" (23)

لما قال:

فإن أبي ووالده وعرضي ** لعرض محمد منكم وفاء

قال له النبي:-

"ووقاك الله حر النار" (24)

من طراز ذلك، ارتياحه لقصيدة أنشدتها أمامه كعب بن زهير بمطلع:-

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ** متيم غثرها لم يفد مكبول

بهذه القصيدة عفا الرسول عن كعب وأعطاه برده بعد أن هدر دمه.

كما يؤكد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عالماً بالشعر ذا بصر فيه روي أنه مر

بما ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأدركا رجلاً ينشد في بعض أزقة مكة:

ول:-

يا أيها الرجل المحول رحله ** هلا نزلت بآل عبد الدار

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر هكذا قال الشاعر: قال لا يا رسول الله،

كنه قال:

يا أيها الرجل المحول رحله ** هلا سالت عن آل عبد مناف (25)

وقد ذهب الباحثون إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من حدد مرتبة

عق القيس وجعله رأس الشعراء وأعطاه قيادهم وعلى هديه سار النقاد،

قال عنه:-

"وكاني أنظر إلى صفوته وبياض إبطيه وحموشة ساقيه في يده لواء الشعراء يتدهدي

إلى النار" (26)

ومن هذا المنطلق يمكن أن نقول إن الرسول قرر الحقائق النقدية المعاصرة له كما هي، وهذه هي صفة النقد الفذ وما يجب أن يتصف به الناقد المحايد. وبعد وفاة الرسول كادت الفتوحات والحروب ضد أصحاب الردة أن تشغل حياة المسلمين كلها لولا أن عمر بن الخطاب قام بأنشطته النقدية وإن كان يكره الهجاء والغزل، فقد حبس الخطيئة حين هجا الزبرقان وأمر بسجن أبي محجن لأنه شرب الخمر واستشار المسلمين في عقاب الشاعر الذي يهجو الناس ومع هذا، فهو من كبار نقاد العرب، يعرف أسرار الشعر العربي معرفة تامة يقول عنه ابن عباس: -
"قال عمر ليلة مسيره إلى الجابية في أول غزوة غزاها قال: - ألا تشدني لشاعر الشعراء، قلت: يا أمير المؤمنين ومن شاعر الشعراء، قال الذي يقول: ولو أن حمدا يخلد الناس أخلدوا** ولكن حمد الناس ليس بمخلد

قلت: ذلك زهير، قال فذلك شاعر الشعراء قلت: وبم كان شاعر الشعراء قال: لأنه كان لا يعاظم في الكلام، وكان يتجنب وحشي الشعر. ولم يمدح أحدا إلا بما فيه". (27)
وحين نأتي إلى زمن سيدنا عثمان بن عفان نرى أن الأمر لم يستقر كثيرا كما كان من قبل، ورغم ذلك كله فإن الخليفة عثمان من عشاق الشعر والأدب، وكان يعجبه شعر أبي زيد الطائي، وقد وصف الشاعر للخليفة الأسد مرة فأرعب الجالسين فأمره الخليفة بالسكوت (28)

وفي آخر عهد الخلفاء الراشدين، انتقل مقر الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلى العراق حيث وقع الصراع السياسي بين الإمام علي بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان، وفي أثناء هذا الصراع جري خصام السيف والقلم بين المسلمين حتى نشطت أخيرا الحركة الأدبية والنقدية وكان الإمام علي بن أبي طالب يصدر في حكمه على الشعر عن روح إسلامية واعتبر مقالة الشاعر مجرد قول لا قيمة له حتى ينفذ ما يقول كما

اعتبرها القرآن الكريم بقوله "وأنهم يقولون ما لا يفعلون" ولذلك حين قال أبو محجن: ولست عن الصهباء يوما بصابر" قال له عمر: لقد أبديت ما في نفسك ولأزيدتك عقوبة صرارك على شرب الخمر". فقال له الإمام علي: ما ذلك لك وما يجوز أن تعاقب رجلا بال: لأفعلن وهو لم يفعل وقد قال الله تعالى "وإنهم يقولون مالا يفعلون"، وأرسي الإمام علي من خلال هذه الروح مبدأ المقارنة والموازنة التي نمت وتطورت في القرنين: الثالث والرابع الهجريين.

وقد تناقش أدباء جيش الإمام علي بن أبي طالب في حضرته في البصرة وكان بينهم أبو الأسود الدؤلي الشاعر وكان يتعصب لبعض الشعراء وأراد الإمام أن يفض النزاع بين الفريقين، فوضع هذه الفقرة النقدية الممتازة:

كل شعراءكم محسن، ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة، ومذهب واحد في القول لعلمنا أيهم أسبق إلى ذلك وكلهم قد أصاب الذي أراد وأحسن فيه وإن يكن أحد فضلهم فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر فإنه كان أصحهم بادرة وأجودهم نادرة.⁽²⁹⁾

ومن هنا نلمس، أن الخلفاء الراشدين أحبوا الأدب والشعر، وأكرموا أهلها، حسنوا اختيار الشاهد والمثل بالشعر وعلى ضوء هذا قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله لي عنها: "الشعر فيه كلام حسن وقبيح، فخذ الحسن واترك القبيح" وقد قيل إن سنان بن ثابت في زمن سيدنا عمر بن الخطاب قام مقام الفاصل بين الشعراء، يميز بين عر الفني وبين الكلام المنظوم والشعر الخطابي والتوجيهي ولذلك قال عنه عمرو بن ص حين سمع شعره: "ما هو شاعر ولكنه عاقل."⁽³⁰⁾ وبناء علي هذا كله يمكن أن نل إن النقد الأدبي في عصر صدر الإسلام يتعمد علي النقاط التالية: -

1- اختيار الألفاظ الإسلامية المؤدية للمعنى المقصود ضد الكفار علي أكمل وجه بحيث لا يحتاج الشاعر أو الناقد أن يشرح المقصود، وبحيث لا يقع السامع في سوء فهم المعنى من قبل الشاعر أو الناقد.

2- انتشار النقائص بين شعراء المسلمين ومعارضيه الكفار، كما اتضح أن قريشاً يهجون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكان شعراء الأنصار يناقضون هذا الهجاء. وقد دعت هذه المناقضات إلى الحكم والإقرار والإذعان.

3- شيوع المفاضلة بين الشعراء كما كان الحال في الجاهلية، وأصدق مثال علي ذلك ما روي من تعليق الأقرع بن حابس علي رد حسان بن ثابت شاعر الرسول علي شاعر وفد تميم من قوله: "والله لشاعره أشعر من شاعرنا وخطيبه أخطب من خطيبنا".

4- جعل التعاليم الإسلامية أساساً مبيناً للحكم علي الشعر والنثر في المجتمع الإسلامي الخالص.

الخاتمة

تحاول هذه المقالة أن تقدم للقراء صورة بسيطة عن أحوال النقد الأدبي في عصر صدر الإسلام من حيث أخذ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يتأثران في تطور الأدب والنقد حتى اصطبغا بصبغة القيم الإسلامية ومثاليته بعد أن تأصلت فيهما النزعة الجاهلية الظلماء. وبهذا يستطيع النقد في هذا العصر أن يساعد إلى حد بعيد في إيجاد النقد الأدبي الإسلامي في عصرنا الراهن.

الهوامش والمراجع

1- د. السعيد السيد عبارة (غير مؤرخ) نشأة النقد الأدبي عند العرب، مكان النشر غير مذكور ص 4.

- 2- المرجع نفسه ص 4
- 3- د. أحمد الشايب الطبعة الثالثة، أصول النقد الأدبي القاهرة، عام 1946م، ص 115.
- 4- د. السعيد السيد عبارة: المرجع السابق ص 7
- 5- المرجع نفسه، ص 7
- 6- المرجع نفسه، ص 5
- 7- المرجع نفسه، ص 8
- 8- المرجع نفسه، ص 9
- 9- المرجع نفسه، ص 10
- 10- خليل الله يودوفو: المدخل إلى تاريخ النقد الأدبي عند العرب، مخطوط، ص 3.
- 11- المرجع نفسه، ص 4
- 12- اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي تقديم كتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي، تمهيد الكتاب القاهرة، عام 1950م، ص ط.
- 13- المرجع نفسه، تمهيد الكتاب، ص ط
- 14- المرجع نفسه، تمهيد الكتاب، ص ظ
- 15- المرجع نفسه، تمهيد الكتاب، ص ض
- 16- الأستاذ طه أحمد إبراهيم تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، 1401هـ - 1981م، مطبعة الكتبة العربية بيروت لبنان، ص 13.

17- د. علي محمد حسن (العماري)، والأستاذ زكي علي سويلم: الأدب وتاريخه في عصر صدر الإسلام، 1413هـ - 1996م، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ص 31.

18- د. السعيد السيد عبارة: المرجع السابق، ص 112

19- المرجع نفسه، ص 113

20- خليل اله بودوفو، المرجع السابق، ص 20

21- د. داود سلوم: النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف، الطبعة الأولى مكتبة الاندلس ببغداد ص 26.

22- المرجع نفسه، ص 27

23- د. السعيد السيد عبارة: المرجع السابق، ص 117

24- المرجع نفسه، ص 117

25- المرجع نفسه، ص 118

26- داود سلوم: المرجع السابق، ص 28

27- الأستاذ طه أحمد إبراهيم: المرجع السابق، ص 30

28- د. داود سلوم، المرجع السابق، ص 31

29- المرجع نفسه، ص 32

30- المرجع نفسه، ص 33